رؤية المثقف الإسلامي لأزمة السلطة السياسية في الخمسينات والستينات: نموذج سيد قطب

د. أحمد صلاح الدين الموصللي

شهد ويشهد العالم الإسلامي صراعات فكرية ومادية تتسم بالعنف في الكثير من الأحيان. وتكمن حقيقة الصراع الفكري، المتمثل بتيارات عدة، كالتيار الاشتراكي والتيار الشيوعي والتيار الليبرالي والتيار القومي العربي والتيارات العديدة الأخرى، في طريقة معالجة جوهر السلطة وأسسها. فتنطلق هذه التيارات الفكرية والمادية من مسلمات وبديهيات مختلفة الا أنها في النهاية تتمحور حول ماهية السلطة والممارسة الصحيحة لها. وتتوفر في العالم الإسلامي نماذج عديدة مختلفة توفر للمثقف مادة قيمة لدراسة طبيعة السلطة وأسس تطورها. يركز هذا المقال على التيار الأصولي الإسلامي حيث إن له نظرة مميزة الى السلطة ومغايرة تماماً لغالبية النماذج الأخرى. أما فحوى هذا المقال فهو فكر سيد قطب السياسي الذي يرتكز أساساً على مفهومه للسلطة المتمثل بقاعدتي التوحيد والحاكمية. وقبل الشروع بالغوص في مفهوم السلطة لا بد من إلقاء بعض الضوء على حياته ومجتمعه.

كرس سيد قطب نفسه لدراسة المعرفة قارئاً كل ما توصلت له يداه، فهذه الفترة ـ والتي سماها الجاهلية ـ عرفته الى مختلف الحقول العلمية وغيرته جذرياً في حياته السياسية والفكرية[١].

---

(١) تعني «الجاهلية» تاريخياً الحضارة والشعر لفترة ما قبل الإسلام. يقول فيليب حتي في: =

ولـد سيد قـطب في قريـة موشـا في أسيوط عـام ١٩٠٦ وأرسله والـده الى الكتّـاب حيث درس العلوم الدينيـة التقليـديـة وحفظ القـرآن الكـريم وهـو في العـاشرة من عمـره[٢]. عـام ١٩٢٩ انتسب الى دار العلوم في قسم المعلمـين وتخرج منها بعد أربع سنوات حائزاً على ليسـانس في فن التعليم وعُين معيـداً في نفس المعهد لأنه تميز عن غيره[٣]. من الناحية الفكرية والسياسية، وقد كان لـطه حسين وعباس محمود العقاد الفضل الأول في تطوره الفكـري المتمثل في القبـول بالغرب والتغريب والدفاع عنهما[٤].

وقد تعرف سيد قطب من خلال الكاتبين الكبيرين على الغرب وحضـارته.

= History of the Arabs (New York: St. Martin's Press, 1981) pp. 87 and 91.
انها تبدأ من وقت خلق آدم حتى بداية بعثة محمد عليه الصلاة والسلام. وخصـائص الجاهليـة الأساسية الوثنية والشعر والغزوات. كما كانت خصائص الرجل الكامل في العصر الجاهـلي هي البلاغة والرماية والفروسيـة. أما سيـد قطب فقـد حوّل الجـاهلية من مفهـوم تاريخي الى مبـدأ سياسي دائم وضعها كأساس رفضه للمناهـج والأفكار غـير الإسلاميـة أو ضد الإسـلام. انظر أيضاً سيد قطب، **معالم في الطريق** (بيروت: دار الشروق)، ص ٧، ١٩٨٠.

(٢) تعتمد هذه الوقائـع على مـا جاء في سـيرة حياة سيد قطب: **طفـل في القريـة**. وللحصول عـلى تفاصيل أكثر انظر كتاب بدر الحسن:
Sayed Qutb Shaheed (Lahore: International Pakistani Publishers, 1980).
وانظر للمؤلف نفسه كتاب:
Milestones (Karachi: International Islamic Publishers, 1981) pp. 1-2.
وانـظر أيضاً كتـاب عبد الفتـاح خالـدي، **سيد قـطب الشهيـد الحي** (عـمان: مكتبـة الأقصى، ١٩٨١)، ص ٤١.

(٣) أسست دار العلوم في القاهرة عام ١٨٧٢ على يد محمد علي، باني مصر الحديثة، والـذي حكم من ١٨٠٨ ـ ١٨٤٨. وقد افتتحت هذه الدار لتدريب الطلاب كأساتذة للغة العربية للمدارس الحكومية الابتدائية والثانوية، ثم أصبحت أول مدرسة علمانية للتعليم العالي. وكان تـلامذتهـا من جـامعة الأزهـر الشريف وهي تدرس الآن اللغـة العربيـة ومواضيـع أخرى. كـما أنها تمنح الشهـادات العليا. انـظر، لمزيـد من المعلومات، حسن *Milestones*، ص ٤، ولكن ابـراهيم عبد الرحمن البليهي يقول إن سيد قـطب حصل عـلى بكالـوريوس في الأدب ودبلوم في الـتربية (انظر كتابه **سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري**، الرياض، ١٩٧٢، ص ٤٢).

(٤) عبـاس محمـود العقـاد (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤) هـو أديب وصحفي مشهـور. بعض أعـمالـه **هي الله وعبقرية محمد**. وتقلد بعض المناصب الرفيعة في مصر كـرئاسـة لجنة الشعـر في المجلس الأعلى للفنون. أما طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣) فهـو أيضاً أحـد الكتاب المشهـورين. احتل منصب وزير المعارف. ومن أهم كتبه **مستقبل الثقافة في مصر** و **الشعر الجاهلي**.

وتميزت كتاباته وكتابات أستاذه العقاد بالليبرالية والحرية الشخصية، فقد شكل الغرب في ذلك الحقبة ـ وما زال حتى اليوم ـ نموذجاً جديراً بالتقليد، كما كانت قيمه السياسية والاجتماعية مقبولة لدى كثيرين من مفكري العصر(٥).

بدأت شهرة سيد قطب في الظهور مع كتاباته للعديد من المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية مع كُتّاب كالعقاد وطه حسين وأحمد زكي الزيات. وشارك قطب في الحوارات الدائرة في المحافل الأدبية والسياسية في مجالات النقد الأدبي ومناهجه وأساليبه. وكان في الأربعينات، صريحاً في نقده للحكومة الملكية، ولذلك سمي الناقد الأول في مصر(٦). ولكن نقده للأحوال الاقتصادية

(٥) للمزيد من المعلومات عن قطب والعقاد وكتاب آخرين الذين كتبوا عن الحضارة الغربية، انظر محمد توفيق بركات، **سيد قطب، خلاصة حياته ومنهاجه في الحركة والنقد الموجه اليه** (بيروت: دار الدعوة، ١٩٧٦) ص ص ١١ و١٣. البليهي، **تراث**، ص ص ٣٢ ـ ٣٦، محمد قطب، **سيد قطب الشهيد الأعزل**، (القاهرة، المختار الإسلامي ط ٢، ١٩٧٢) ص ٥. ومحمود عبد الحميد، **الإخوان المسلمين**، الجزء الأول (القاهرة، دار الدعوة، ١٩٧٨) ص ١٩٠ وانظر أيضاً أبو الحسن الندوي **مذكرات سائح في العالم العربي** (القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٥٤) ص ٢٥، وانظر خالدي، **قطب**، ص ص ١٠٥ ـ ١٠٨ و١٦٥.

(٦) خالدي، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب** (عمان: دار الفرقان، ١٩٨٣) ص ص ٦٤ ـ ٦٦ وانظر أيضاً مقالة:

Olivier Carré «Le Combat Pour-Dieu et l'Etat Islamique chez Sayyid Qutb L'inspirateur du radicalisme actuel» Revue Francaise.

كان عباس محمود العقاد وأحمد لطفي السيد (١٨٧٢ ـ ١٩٦٣) معتدلين في نقدهما للحكومة ولكنهما شديدا اللهجة في مهاجمتهما للإسلام. ولم يعتقد هذان الكاتبان وغيرهما ـ في تلك المرحلة من حياتهم ـ إن للإسلام دوراً يذكر في عمليتي التنمية والتقدم. فكتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي، وكتاب على عبد الرازق عن الإسلام وأصول الحكم اعتبرا من قبل رجال الدين على أنهما موجهان ضد الاسلام كنظام سياسي وديني. يقول علي عبد الرازق مثلاً، إن الإسلام لا يفرض وجوب الخلافة، أي أن وجوبها ليس بأمر ديني. وفي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن رأى العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم، مثلاً، أن أوروبا هي النموذج الواجب اتباعه ولم يرضوا بمشاركتهم للعرب. فيقول طه حسين مثلاً، **مستقبل الثقافة في مصر**، أن مصر ليست بلداً عربياً ولكن دولة فرعونية. إلا أنه في أواخر الثلاثينات تحول العقاد وغيره الى المعسكر الديني مما أدى الى كتابة العديد من الكتب عن عظمة الاسلام ككتاب طه حسين **على هامش السيرة** وكتاب العقاد **عبقرية محمد**. وقد كان قطب أحد هؤلاء الكتاب الذين تحولوا الى الاسلام، ويمكن اعطاء أسباب كثيرة لهذا التحول، منها، فساد الأحزاب السياسية، وظهور =

والاجتماعية والسياسية السائدة في ذلك الزمن وضعه في خلاف شديد مع الحكومة المصرية. ولهذا نُفي سيد قطب الى الصعيد لإجراء أبحاث عن تعليم اللغة العربية في المدارس الرسمية لكن قطب استمر بمطالبة استقالة الحكومة الداعية الى أنصاف الحلول والتسويات مع الحكومة الانكليزية وفي مهاجمة فساد الأحزاب المصرية وإعلانه وجوب زوالها[٧]. وقدم استقالته من حزب السعديين الذي دخله عام ١٩٤٢.

وفي عام ١٩٤٨ غادر سيد قطب الى الولايات المتحدة الأميركية للدراسة هناك. وبينما هو في أميركا نُشر له كتاب **العدالة الاجتماعية في الإسلام** الذي أظهر فيه لأول مرة اتجاهات أصولية في فكره السياسي ونقداً عنيفاً للإقطاعية والاستغلال[٨]. لقد شكلت زيارته لأمريكا نقطة تحول بارزة في تطور فكره السياسي دفعته الى رفض أسلوب الحياة الغربية[٩].

إلا أن حدثين بارزين دفعا قطب الى الانضمام الى الإخوان المسلمين. تمثّل الأول باستياء قطب من الفرحة الكبيرة التي قوبل بها اغتيال الشيخ حسن البنا من قبل وسائل الاعلام الأمريكية عام ١٩٤٩[١٠]. وتمثل الثاني في لقاء قطب

= القومية العربية في الحياة الفكرية في مصر في النصف الأول من القرن الحاضر. انظر في هذا المجال:

P.J. Vatikiotis. *The Modern History of Egypt* (New York: Praeger Publishers, 1969) pp. 1930-62.

(٧) انظر **الرسالة**، المجلد ١٩، الجزء الثاني، الرقم ٦٨١ (يوليو ١٩٤٦) ص ص ٧٩٦ - ٧٩٧. وانظر أيضاً قطب، **معركتنا مع اليهود** (الرياض، ١٩٧٠) ص ص ٢١ - ٢٤ و٣٠.

(٨) خالدي، **قطب**، ص ٢٥.

(٩) خالدي، **قطب**، ص ١٢٥، وعساف حسين:

Islamic Movements in Egypt, Pakistan and Iran (Great Britain: Mansell Publishing Limited, 1983) p. 9.

(١٠) خالدي، قطب، ص ١٣٦. وانظر أيضاً حسين *Islamic Movement*، ص ١٧. نشرت **النيويورك تايمز** في عددها الصادر في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٩، خبر اغتيال البنا بالطريقة الآتية: اغتيل في القاهرة زعيم حركة الاخوان المسلمين الارهابية الخارجة عن القانون. وتقول إن «الشيخ البنا، وعمره ٣٩ عاماً، زعيم الحركة الوطنية المصرية المتطرفة الخارجة عن القانون، الاخوان المسلمين، والتي اعلنت مسؤوليتها في سلسلة من التفجيرات والقتل في =

وعـــمـــيــل بـــريــطاني أســماه قــطـب جــيــمس هــيـــوارث دَنْ (Jammes Heyworth-Dunne) الذي أخبره أن الإخوان وحدهم يقفون حاجزاً أمام تقدم الحضارة الغربية في الشرق، وعرض لذلك تقارير المخابرات الأمريكية عن البنـا وحركته[١١]. وهكذا فإن إحدى الآثار الأساسية الناتجة عن رحلته الى امريكا كان تعاطفه واستعـداده للتعاون مـع الإخوان المسلمـين. فعند عـودته من الـولايات المتحدة كتب قطب في مجلة الإخـوان، **الدعـوة**، وفي مجلات أخـرى **كالـرسالـة واللواء الجديد**[١٢]. كما استقال من منصبه الجديـد كمستشار في وزارة المعـارف، ومن ثم توجت هذه المرحلة بانضمامه للإخوان المسلمين عام ١٩٥٢[١٣].

وكان قطب والأخوان المسلمون قد التقيا فكرياً عندما نشر كتابه **نقـد كتاب مستقبل الثقافة في مصر** حيث تبناه الإخوان المسلمون في منشـوراتهم. فقد قسم طـه حسين العـالم الى شرق وغرب وحـاول البرهنـة على أن مصر هي جـزء من الغرب. لكن قطب أشار الى أن هناك قـوة ثالثـة ألا وهي قوة العـالم الإسلامي

= العام المنصرم، قد أطلق عليه النار امس من سيارة فيها مجمـوعة من الشبـان خمس طلقـات، وتـوفي اليوم في المستشفى». وعلاوة على هذا، كـانت منظمـة الاخوان في رأي **التايمز** فـاشية ومتعصبة.

(١١) خـالـدي، **قـطب**، ص ص ١٣٠ و١٣٦. نشر هيـوارث دن James Heyworth-Dunne كـتـابـه **Religious and Political Trends in Modern Egypt** (Washington, 1950). والجدير ملاحظته هو أن موعد صدور الكتاب هو نفس تاريـخ وجود قـطب في أمريكـا. انظر مقالة قطب «لماذا اعدموني» في **المسلمون** السنة الأولى ١٩٨٥، شباط، رقم ٢، ص ٣. تلقي هـذه المقالـة الضوء عـلى بعض المواضيـع الغامضـة في حياة قـطب، مثـل تـاريـخ انخـراطـه بالاخوان، واعتقاد قطب أن امريكا كانت وراء تضخيم خطر الاخوان عند الحكومة المصرية.

(١٢) خـالدي، **قـطب**، ص ص ١٣٧ ـ ١٣٨. أنشئت الأسبوعيـة **اللواء الجديـد** في عام ١٩٤٤، ورئيس تحريرها فتحي رضوان. وكانت **البلاغ** مجلة الوفد انشئت عام ١٩٢٣. وانشاء **الرسالة** **ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات وسيطرت عليها الدولة منذ عام ١٩٦٦. أما الدعوة** فهي مجلة الاخوان وانشأها صلاح عشماوي أحد قادة الاخوان عام ١٩٥١.

(١٣) المصـدر نفسه، ص ص ١٣٨ ـ ١٩٤. يقـول بركـات إن قطب انضم الى الاخـوان في أواخر الأربعينات الا أن خالدي يقول إن التـاريخ كـان عام ١٩٥١. ولكن قـطب نفسه يحـدد عام ١٩٥٣ كالتاريخ الفعلي لانضمامه حيث اصبح عضواً في المنظمة بعد اختلافـه مع عبـد الناصر (قطب «لماذا اعدموني» ص ص ٣ ـ ٤).

والتي تمثل مصر جزءاً منها. الا أن الحدث الأكثر أهمية كان نشر كتاب قطب العدالة الاجتماعية في الإسلام حيث إن الكتاب دعا الى مبادىء مشابهة لمبادىء الإخوان[١٤].

وفي عام ١٩٥٣ عُين قطب رئيساً لتحرير المجلة الأسبوعية للإخوان التي ما لبثت في عام ١٩٥٤ أن مُنعت من الصدور، كما أن حزب الإخوان قد حُل واعتقل الكثير من اعضائه بمن فيهم سيد قطب. ولكنه سمح للإخوان باستعادة نشاطهم ورفع المنع عن اصدار المجلة عندما لم تجد المحكمة أي دليل على وجود مؤامرة[١٥]. ثم عُين قطب عضواً في اللجنة العاملة ومجلس الإرشاد، وهو أعلى هيئة في المنظمة، كما أصبح قطب رئيس قسم الدعوة الذي تولى التصديق على ترخيص كتابات الإخوان[١٦].

كان حزب الإخوان المسلمين الجهاز المدني للثورة المصرية مكلفاً بحماية الأقليات والمؤسسات الأجنبية، كما أمنت للثورة الدعم من الشعب وعين قطب مستشاراً لمجلس الثورة، كما عرضت عليه مناصب كثيرة، كمدير للاذاعة وكمدير للتربية، التي رفضها قطب. إلا أن المنصب الوحيد الذي قبل به قطب كان رئاسة تحرير الإذاعة[١٧]. وكان سيد قطب قد استقال بعد عدة شهور بسبب

(١٤) خالدي، قطب، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ص ١٣٨ و١٤٤، والبليهي تراث، ص ص ٤٨ ـ ٤٩؛ واسحاق موسى الحسيني.
The Moslem Brethren (Beirut. Khayat's College Book, Book Co., 1956).
وفيما يتعلق بحوادث اعتقال قطب وإطلاق سراحه واعتقاله مجدداً. (قطب لماذا أعدموني) ص ٤.

(١٦) Richard Mitchell, *The Society of Muslim Brothers*. london: Oxford University Press, 1969) pp. 33 and 188.
وكان قطب المرجع الأخير فيما يتعلق بنشر الكتب التي مثلت عقيدة الإخوان ويشمل ذلك خطط قسم الدعوة للاتجاهات الفكرية والروحية للاخوان، كما جمعت أعمال حسن البنا. وكان قطب في صدد وضع العديد من المشاريع حيز التنفيذ الا أن حل الحركة وسجن الكثير من أعضائها شل حركتها (المصدر نفسه، ص ص ١٨٧ ـ ١٨٨). ولكن سيد قطب يرفض التهمة انه كان رئيس قسم الدعوة (انظر، قطب، «لماذا أعدموني»، ص ٤).

(١٧) يقول قطب إن استقالته من رئاسة التحرير كانت نتيجة خلافات فكرية بينه وبين عبد الناصر. (انظر قطب، «لماذا أعدموني»، آذار، عدد ٦، ص ٧).

خلافه مع النهج المتبع في الإذاعة. بعد ذلك تولّى جمال عبد الناصر بنفسه هذا المنصب. كما أن قطب رفض دعوة عبد الناصر لوضع برنامج للحزب الحاكم. وكان الخلاف الأساسي بين قطب وعبد الناصر دعوة الأول للثاني لتطبيق مبادىء الاسلام. فقد أراد الإخوان، مثلاً، منع بيع الكحول وإغلاق البارات ومحلات بيع الخمر. الا أن الحكومة، عوضاً عن هذا، حددت الأوقات التي يمكن لهذه المحلات أن تفتح فيها أبوابها. والأكثر أهمية من هذا، أن الإخوان رفضوا دعوة مجلس الثورة للمشاركة في الحكومة وترشيح أيّ منهم لمناصب وزارية. فبالرغم من أن الاخوان هدفوا الى تقوية الحكومة وإرشادها طالما تمسكت بمبادىء الإسلام إلا أنهم تخيلوا أن مجلس الثورة كان أداة انتقال ملائمة قادرة على تطبيق مبادىء الإسلام أو تسليم السلطة الى حكومة مدنية[١٨].

ورفض مجلس الثورة دعوة الإخوان لحكومة دستورية مدنية. فطالبت، مثلاً، مجلة **الدعوة**، مراراً وتكراراً الحكومة بوضع دستور مستمد من الإسلام وطالبت بحرية الصحافة. وطالبوا كذلك باستفتاء عام من أجل تقرير رغبة الشعب أو عدمها في مثل هذا الدستور[١٩]. وكان هذا التحدي بداية الانشقاق، وتبلور في شجب الإخوان للمعاهدة المصرية الإنكليزية عام ١٩٥٤ الذي تمحور على رفضهم لشرط المعاهدة الذي ينص على أن للانكليز الحق في الدخول الى مصر والشرق الأوسط عندما تتعرض المنطقة للخطر، وحول حق الانكليز ترك بعض الجنود عند قناة السويس.

وكان الإخوان المسلمون واللواء محمد نجيب، رئيس مجلس الثورة ورئيس الحكومة آنذاك، منتقدين لهذه المعاهدة ولجمال عبد الناصر بالذات. وطلب حسن الهضيبي، مرشد الإخوان المسلمين، مثلاً، عرض هذه المعاهدة على استفتاء شعبي[٢٠]. وخلال ذلك الوقت اتفق الإخوان ومحمد نجيب على العودة

(١٨) خالدي، قطب، ص ٦٤٣، ميتشل، *Society*، ص ١٠٧، والحسيني، **الاخوان**، ص ١٣١.

(١٩) P.J. Vatikiotis, *The History of Modern Egypt*, p. 384.
والحسيني، **الاخوان**، ص ١٣١.

(٢٠) ميتشل، *Society*، ص ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

الى الحكم المدني وإنشاء برلمان منتخب من الشعب وعلى إعادة كل الحريات وإطلاق المعتقلين من السجون[٢١]. ومن ثم تدهور الوضع أكثر وحدثت اشتباكات بين الإخوان والشرطة واتهم الإخوان بأنهم يتعاملون مع الشيوعية[٢٢].

بعد ذلك اعلنت الحكومة أن منظمة الإخوان المسلمين هي منظمة غير شرعية واتهمتها بالتآمر لقلب الحكومة وبالإرهاب ومنعت مجلاتها من الصدور واعتقلت وسجنت زعماء الحركة وآلافاً من أتباعهم. وفي الحقيقة، فقد تخوف العسكريون من فقدهم للسلطة[٢٣]. وقد تم أيضاً عزل اللواء نجيب كرئيس لمجلس الثورة وللوزارة ووضع تحت الإقامة الجبرية. وفي تموز (يوليو) ١٩٥٥ أعلنت محكمة الشعب حكمها بالسجن على قطب غيابياً لمدة خمسة عشر عاماً. وقد تم اعتقال قطب وآخرين وتعذيبهم بصورة وحشية[٢٤].

وأثناء وجوده في السجن كتب قطب ونشر أحد أهم كتبه، **في ظلال القرآن**. كما تمكن خلال إقامته في السجن من إنشاء منظمة سرية فعالة للإخوان وأصبح قطب المتكلم الرئيسي باسمها[٢٥]. ودامت إقامة قطب في السجن حتى عام ١٩٦٤ ثم أطلق سراحه بناءً على تدخل رئيس الجمهورية العراقية في ذلك الوقت، عبد السلام عارف. وبعد سنة ونصف من إطلاقه أدخل مجدداً السجن

---

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ص ١٣٧ - ١٤٠؛ وحسين، *Islamic Movement*، ص ص ٨ - ١١.

(٢٣) حسن، *Milestones*، ص ص ٨ - ١١، وانظر، Vatikiotis, *Modern History*، ص ٣٢٦. ولكن قطب يعزو الخلاف بين مجلس الثورة والإخوان الى «عملاء الولايات المتحدة» لأن بعض مستشاري عبد الناصر مثل الدكتور أحمد حسين والدكتور محمد صلاح الدين وآخرين ممن لهم علاقات مع الولايات المتحدة أثروا على عبد الناصر وضخموا مخاوفه (قطب، لماذا أعدموني، شباط، عدد ٢، ص ٤).

(٢٤) حسن، *Milestones*، ص ٤، وحسين، *Islamic Movement*، ص ٨. حكم على سيد قطب غيابياً لأنه كان مريضاً بداء الاضطراب العصبي والقلب. وبينما كان في السجن، حصلت له ذبحتان صدريتان، وخلال مدة بقائه في السجن، كان قطب مريضاً وخضع لعدة عمليات جراحية - (انظر بركات، تراث، ص ٧، وخالدي، **قطب**، ص ص ١٤٥ - ١٤٧ و Le Combat, Carré، ص ٦٨١.

بتهمة التحضير لانقلاب مسلح وحكم عليه بالموت. وفي ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٦٦ تم إعدام سيد قطب وشخصين آخرين من قادة الاخوان[٢٦].

إن سبب سلوك سيد قطب المعادي للسلطة هو إيمانه أن الإسلام يرفض سلطة الإنسان على أخيه الإنسان عن طريق وضع الأنظمة والقوانين الوضعية لأن سلطة الأنظمة والقوانين الوضعية تمثل كفراً كاملاً وفاجعاً، فيجب على الإنسان الحكم بقانون الله. وبما أن الأهداف الإنسانية اليوم لا تتمثل في طاعة الله وتعاليمه، يصر قطب على أن وجود المجتمع الإسلامي أصبح ضرورة ملحة من أجل إتاحة الفرصة أمام المسلمين للعيش في جو طبيعي وملائم لممارسة دينهم وللتمتع بحياة نفسية أفضل. وهذا ما يجعل وجود المجتمع الإسلامي أكثر إلحاحاً من السابق، فالمجتمعات غير الإسلامية ليست في تناغم مع الطبيعة الإنسانية؛ ولذلك توجد حلول وعلاجات جزئية للمشاكل الإنسانية. وفي الغالب، فهم يعالجون مرضاً على حساب آخر[٢٧].

لا يشكل الإسلام تحريراً للإنسان من سلطة بني البشر فقط بل هو أيضاً نقطة تشكُّل الاخلاق علاوة عن كونه منطلق كل تشريع وقانون فلا تملك الحكومة أو الشعب سلطة التشريع: تشريع الحلال والحرام والصواب والخطأ

(٢٥) بركات، **خلاصة**، ص ١٩. يقول خالدي إن سيد قطب تمكن من الحصول على معاملة طيبة من السجانين، وكان يدعى «قاضي السجن». كما تمكن من نشر كتبه أثناء سجنه لأن الحكومة أرادت أن تنفي عن نفسها تهمة التعذيب والاضطهاد (انظر، خالدي، قطب، ص ١٤٧). لا ينكر قطب إنشاءه لجهاز داخل الإخوان إلا أنه يقول إن هذا الجهاز كانت له أهداف تربوية لاعتقاد قطب انه لا يمكنه إنشاء مجتمع جديد إلا بعد التربية الصحيحة. ويعترف قطب بانشائه لمنظمة عسكرية في الأعوام، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ ولكنه يصر على أن هدفها كان ضد أي اضطهاد أو تعذيب (قطب، «لماذا أعدموني»، آذار (مارس) عدد ٤، ص ص ٦ ـ ٧، ٩). وانظر حسن *Milestones*، ص ١٠.

(٢٦) حسن، *Milestones*، ص ص ٣٧ ـ ٣٨، وانظر أيضاً، خالدي، **قطب**، ص ٥١ حيث يقول إن الرئيس جمال عبد الناصر أعلم في عام ١٩٦٥ حين كان في زيارة للولايات المتحدة عن وجود مؤامرة للإخوان المسلمين لقلب الحكومة ولاغتيال موظفي الدولة.

(٢٧) سيد قطب، **هذا الدين** (القاهرة. مكتبة وهبة، ط ٤، لا تاريخ) ص ٢٣. وانظر أيضاً، في الموضوع نفسه ص ٣٢.

لأن التشريع هو شأن إلهي عند سيد قطب. وهو كذلك لأن للمجتمع نظاماً أخلاقياً داخلياً قائماً على القوانين الكونية (الإلهية)، كما صورها القرآن الكريم. لذلك فإن العمل بهذه القوانين هو مسؤولية الحكومة. ولهذا يرى قطب أن القانون الإسلامي - بهذا المعنى - ليس بظاهرة اجتماعية وحسب بل هو أحد مظاهر إرادة الله التي تحدد واجبات وحقوق الأفراد والدولة. ويعني هذا أن تشريع المبادىء الأساسية للسلطة قد وضعت سلفاً ولا تخضع في مشروعيتها الى الاعتبارات البشرية؛ فمهما ارتأى الأفراد والجماعات فهم لا يملكون تشريع ما هو حلال على أنه حرام أو العكس. فهذه المبادىء، مع مرونتها وشموليتها، قادرة على إرضاء حاجات الحياة، فالمطلوب هو تقنين المواد القضائية من هذه المبادىء العامة طبقاً للمتطلبات المتغيرة للمجتمع[٢٨].

وبما أن التوحيد هو أساس الحق والخطأ والحلال والحرام والشرعي وغير الشرعي فإن السلطة هي، عند قطب، لله وليس لغيره[٢٩]، وعليه فإن الخضوع لسلطة أو إرادة شخص ما أو مجموعة ما أو حتى للأمة لهو إشراك في حال تناقض ارادة الفرد أو الأمة للرسالة الإلهية وللمبادىء المنصوصة في القرآن

---

(٢٨) سيد قطب، معركة الاسلام والرأسمالية (بيروت: دار الشروق، ط ٤، ١٩٧٥) ص ص ٦ و٤٩.

(٢٩) قطب، **هذا الدين**، ص ص ١٦ - ١٩ وقطب، **معالم في الطريق** (دار الشروق، ١٩٨٠) ص ص ٤٨ و ١١٤. وأيضاً قطب، **في ظلال القرآن** (بيروت: دار الشروق، لا تاريخ). المجلد الأول، الجزء الأول والثالث، ص ٣٤. وانظر سيد قطب، **فقه الدعوة** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٠). ص ص ٦٠ - ٦١؛ وانظر أيضاً، قطب، العدالة الاجتماعية في الاسلام (القاهرة: دار الشروق، الطبعة السابعة، ١٩٨٠) ص ١٠٥، وسيد قطب، **تفسير سورة الشورى** (بيروت: دار الشروق، لا تاريخ) ص ٥١. يستعمل قطب الآيات التالية لشرح موقفه عن الحاكمية والسلطة **﴿ما يعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** (يوسف: ٤٠).
﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (المائدة: ٤٧. وانظر أيضاً حتى الآية ٥٠) **﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ورسوله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾** (الشورى: ٤١) وهناك العديد من الآيات في هذا الموضوع؛ مثل سورة النساء ٦٥ - ٦٦.

الكريم. وبما أن السلطة هي لله في هذه الحياة وفي الآخرة فالتشريع أيضاً، هو لله تعالى. والسبب في هذا أن الخضوع لله هو ذو أهمية حيوية ليس في مجال الأعمال الأخلاقية فقط بل أساساً في الأمور السياسية. ولهذا يكمن الهدف الحقيقي من تنفيذ قوانين الله على هذه الأرض لا العمل فقط من أجل الآخرة. فهذه الحياة والحياة الأخرى هما جزءان متكاملان يعمل القانون الإلهي على التنسيق بينهما. وهذا التنسيق يشمل إخضاع الحياة كلها الى الإرادة الإلهية. لهذا، على المسلم تطبيق القانون الإلهي والتوصل الى المنهج الإسلامي.

إن رأي قطب للقانون لا يتعلق بالإجراءات والتنظيمات القانونية بل بمبادىء القانون أو فلسفة القانون، إلا أن هذا القانون لا يمكن أن يؤدي الى رفض المتغيرات في الشؤون اليومية وهكذا، فالتشريع بمعنى التنظيم مسموح به عند قطب، أما التشريع بمعنى تقرير المفاهيم الأساسية فهو غير مسموح به. وفي هذا المجال، يمشي قطب على حبل مشدود؛ فمن ناحية وضد مطالب المطالبين بالعلمانية، يقول إن الجوهر السياسي والمغزى الديني لا يمكن أن يتغيرا، ومن ناحية أخرى، يريد أن يحرر الإسلام من تصلب رجال الدين الذين يصرون على صلاحية الفقه لكل العصور. لهذا على المجتمع الإسلامي التزام مبادىء الإسلام وقيمه وأخلاقه. لكن هذا لا يحجب إمكانية إيجاد حلول حديثة لمشاكل قديمة وحديثة. وعلى الحاكم المسلم أن لا ينسى أهداف الدين من أجل تحسين المجتمع والفرد والإنسانية طبقاً لمبادىء الإسلام.[٣٠]

وبما أن الحياة الأخلاقية قائمة على التشريع يؤكد قطب على أهمية طاعة الشريعة من قبل الحاكمين والمحكومين، ويعتبر عدم الامتثال الى أوامر التشريع

(٣٠) قطب، **العدالة الاجتماعية**، ص ١١١. عن علاقة القانون والحكم والمجتمع، انظر، مثلاً
N.J. Coulson, *History of Islamic Jurisprudence,* Ist.ed. 1967 (Edinburgh: Edinburgh University Press, p.b. 1974) pp. 120-148.

عن الخلافات بين الشريعة والقانون الروماني، انظر:

Ann K.S. Lambton, *State and Government in Medieval Islam: Introduction to the Study of Islamic Political Theory:* The Jurists (Oxford: Oxford University Press, 1981); H. A.R. Gibb, *Mohammadanism* (N.Y: Oxford University Press, reprint, 1967) pp. 34-45.

من قبل الحكومة سواء أكانت ديموقراطية أم أوتوقراطية عملاً غير شرعي وغير أخلاقي. وفي كلمة أخرى، يعتبر قطب أن الحكومة الإسلامية هي حكومة الشريعة، أولاً، والمحكومين ثانياً. فعلى الحكام أن يكونوا خدماً للتشريع حيث إن الشريعة هي سيدة الحكومة والى أن الحكومة هي خادمة للشريعة. وعليه، فوظيفة الحكومة هي تنظيم الشؤون الإنسانية في إطار المبادىء الإسلامية. لهذا، وبالرغم من رؤية قطب لزوم طاعة الحاكم فإن طاعته ليست مطلقة أو دائمة؛ وعدم التزامه أو الجنوح عن التشريع يشكل أساساً كافياً للعصيان المدني والثورة.

وبالرغم من أن هذا المفهوم ليس بجديد الا أنه تحت الظروف التي عاشها سيد قطب في الخمسينات والستينات فقد اعتبر رأيه هذا على أنه يحتوي على تهديد ومساسٍ لسلطة الدولة. الا إن الجديد هو رؤية قطب لعدم تملك الحاكم لأي سلطة حقيقية. ففي رأي قطب فإن المصدر الحقيقي للسلطة هو الله؛ وتتوزع هذه السلطة على المسلمين ككل وعلى العموم. أما سلطة الحاكم فهي عملية تفويض من الشعب ويمكن حجبها في حالات عديدة، أولها، عدم التزام أو عدم تطبيق التشريع الإسلامي. وبما أن السلطة هي عملية تفويض، فإن الدولة تستمد سلطتها من مصدر وحيد، وهو إرادة المحكومين. ولهذا، فإن قطب يعترف، مثلاً، بشرعية الخلفاء الراشدين لأنه تم اختيارهم من الشعب لكنه يرفض الاعتراف بشرعية الأمويين بسبب فرض أنفسهم على المجتمع(٣١).

(٣١) عن ضرورة انتخاب المسلمين للحكام ككل، انظر قطب معالم في الطريق، ص ص ٧١ - ٧٤، عن واجبات الحكام في الاسلام، انظر محمد عمارة الاسلام وفلسفة الحكم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠) ص ص ٦١٣ - ٦٤٦. يحدد محمد عمارة ويشرح المطالب المختلفة ووجهات النظر بين السنة والشيعة ووظيفة الحكم وواجبات الحكم. وفي موضوع الخلافة، انظر،

Lambton، «The Extinction of the *Caliphate*». *State and Government*
حيث تقارن بين آراء ابن تيمية وابن جماعة والماوردي والغزالي. وعن الدولة الاسلامية الأولى انظر:

M. Hodgson, *The Venture of Islam*, vol, 1, «The Classical Age», (Chicago: Chicago University Press, 1974) pp. 187-230,
وعن انتشار الاستبداد انظر الكتاب نفسه ص ص 280-314.

وفي قول آخر، لا يصر قطب فقط على الفكرة القائلة بوجوب خضوع الحكومة للشريعة ولكنه يصر أيضاً على المفهوم القائل بأن سلطة الدولة نفسها متوقفة على التزامها بالشريعة. كما تتوقف شرعيتها على اختيار المسلمين لها واستمراريتها تتوقف على مدى التزامها وتطبيقها لشريعة الإسلام. وعليه، فواجب الشعب إطاعة الحاكم ينبثق من التزام الحاكم بالشريعة. وهنا، يفصل قطب ما بين وظيفة الحاكم كمنفذ للتشريع وبين استمداده للسلطة بسبب كفاءته. فالحاكم يستمد سلطته وشرعيته من الشعب؛ ومن أجل المحافظة عليهما يجب عليه طاعة الشريعة. وبما أن الحاكم لا يملك أي سلطة دينية مستمدة من السماء أو من حق إلهي أو الوحي؛ فهو يستمد قوته لممارسة السلطة من الاختيار الجامع والحرية المطلقة للمسلمين[٣٢]. فمن الناحية النظرية، يمكننا القول إن السلطة تنبع من مفهومين أساسيين: اختيار المسلمين للحكومة وتطبيق الشريعة الإلهية.

ويهدف قطب من خلال هذه المناقشات الى رفض العديد من المفاهيم المتفشية في العصر الوسيط للفقه ولتطوره التاريخي. فلا يعتبر قطب، مثلاً، أن مطلب الفقهاء أن يكون الخليفة قرشياً هو مطلب شرعي لأن مبادىء الإسلام ترفض رفع قريش أو أية قبيلة أخرى، فوق المسلمين الآخرين. فالمسلمون كلهم متساوون بغض النظر عن أجدادهم وأسلافهم. كما أنه يرفض شرعية حكم الأمويين والعباسيين بسبب عدم شرعية حكمهما القائم على اغتصاب السلطة وإدخال الحكم الوراثي[٣٣].

(٣٢) قطب، **العدالة الاجتماعية**، ص ١٠٧ وانظر أيضاً ص ٧٣. يستدل قطب بالآيات التالية على أن الشورى هي أساس الحكم: ﴿فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران: ١٥٩) ﴿والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨).

(٣٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧، عن قبولهم بالاستيلاء على السلطة ووجوب كون الخليفة من قريش، انظر، مثلاً، ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، المجلد الأول (بيروت: مكتبة خياط، لا تاريخ) ص ٢٨١؛ الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد** (مطبعة الحسين التجارية، لا تاريخ) ص ص ١٠٥ ـ ١٠٦؛ الماوردي، **الأحكام السلطانية** والولايات الدينية (القاهرة: =

كما أن الأمثلة التي يعطيها والنتائج التي يتوصل اليها قطب موجهة الى المشاكل الحديثة، فرفضه لشرعنة العملية التاريخية (سواء أكانت تسمية أبي بكر لعمر أم الحكم الأموي الوراثي) هو رفض كونها مبرراً للتغيرات التي حصلت في الماضي أو التي ستحدث الآن. ويستند هذا الرفض الى المبدأ العام الذي ينص على حق المسلمين في اختيار الحكام في الماضي والحاضر. وعلاوة عن هذا، فإن رفض قطب لشرعنة استعمال القوة في التوصل الى السلطة (كما فعل معاوية، مثلاً) هو موجه أيضاً الى الحكام المسلمين في الحاضر الذين اغتصبوا السلطة. ويعني كل هذا أن على المسلمين المعاصرين أن يحرروا أنفسهم من سلطات مفروضة ولا تحظى بقبول شعبي؛ فللشعب الحق في قبول أو رفض استلام الحاكم للسلطة. وعليه، فليس على المسلمين الخضوع للسلطات الحالية بل يجب تغييرها، وبدقة أكثر، ومن الناحية العملية، فإن الهدف من هذا هو شجب الحكومة المصرية ودعوتها الى إجراء انتخابات وشجب للسلطوية الفردية ولاغتصاب السلطة. إلا أن إصرار قطب على وجوب التزام السلطة الحاكمة بمبادىء الإسلام لا يقوده الى الدعوة الى الثيوقراطية. فمن هذا المنظور، يرى قطب أنه لا يمكن التوصل الى النظام الإسلامي عندما يحكم رجال الدين لأنه لا رجال دين في الإسلام، بل بتعلق النظام الإسلامي بجدية تطبيق الشريعة الإسلامية وإعلاء مبادىء الإسلام. وينبع شجب قطب للسلطة المدعاة لرجال

= الطبعة الثانية، ١٩٧٣، ص ص ٣٣ - ٣٤. عن مواصفات الحكام وشرح مختصر لآراء العلماء فيها، انظر الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ص ٥ - ٢١. و

Reuben Levy, *The Social Structure of Islam* 1st-ed- 1957 (Cambridge: Columbia University Press, reprint 1965) pp. 168-69 and 271-299.

وانظر أيضاً

Gustave E-Von Grunebaum, *Medieval Islam*, 1st ed. 1946 (Chicago: The University of Chicago Press, 1961) pp. 157-50.

يقتبس قطب الآيات التالية في **العدالة الاجتماعية**، ص ص ٥٦ - ٥٩، للتأكيد على عدم أهمية السلالة وأهمية المساواة:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٢). ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ (النساء: ١).

الـدين من رفضه لمفهـوم السلطة الـدينيـة لأن رجـال الـدين لا يمثلون الله عـلى الأرض. لهذا، فالدعوة الى إقامة حكـومة ثيـوقراطيـة باسم الإسـلام لهي دعوة زائفــة وجـاهلة ولا يجب أن ينــظر اليهـا عــلى أنها الشكـل المثــالي للحكم في الإسلام[٣٤]. وعلى العموم يرفض رؤية الحكم في الإسلام على أنه حكم مجموعة محدودة من الناس. فعنده، الحكومة الإسلامية هي كل حكومة تقوم على أساس أن السلطة، التـي يشـارك فيهـا المسلمـون جميعـاً، هي، من حيث المبــدأ، لله وحـده وعلى أسـاس تطبيق الشريعـة الإسلاميـة. أما الـذين يُعرفـون بالإسـلام «بـرجـال الـدين» فـيرى قـطب انهم ليسـوا بـأكـثر من مسلمــين متخصصـين بالدراسات الإسلامية، إلا أن هذا لا يمنحهم سلطة أو شرعيـة أكثر من غـيرهم بالنسبة للانتخاب لأن السلطة والشرعية هما للمسلمين على العموم[٣٥].

الا أن تفصيـل قـطب لسلطة الحـاكم وإصراره عـلى أن الشرعيــة تتـطلب اختيار الشعب لا يترك حيزاً كبيراً لقبول أي شكل من أشكال الحكم ما عدا ذلك الذي يتم اختياره في طـريقة شعبيـة. بالإضـافة الى هـذا يعلن قطب عن أهميـة التزام السلطة بالشورى في إيجاد الدولة وتسيير أمورها.

وإذا مـا كان وجـود السلطة الشرعيـة يتـوقف عـلى مـوافقـة الأمـة وكـانت الشورى مبدأ الحياة السياسيـة في الإسلام وفي طـريقة اختيـار السلطة الشرعية، فإن «حكومـة الأمة» لا يمكنهـا الا أن تأخـذ شكلاً واحـداً وهو الشكـل الشعبي (الديموقـراطي) لأن المسلمين عـلى العموم وليست النخبـة منهم أو علماءها فقط هم الذين ينتخبون السلطة الحاكمة. وهكـذا، فإن حكم الأقليـة (اوليكاركي) وحكم الفـرد (الأوتـوقـراطيـة) غـير مقبـولــين كشكلين من أشكـال الحكم في الإسلام[٣٦].

(٣٤) قطب، **معالم في الطريق**، ص ص ٥٨، ٦٣ ـ ٦٩، ٧٢.
(٣٥) قطب، **العدالة الاجتماعية**، ص ١٠٧، وانظر قطب، **الرأسمالية**، ص ٧٠.
(٣٦) قـطب، **هـذا الـدين**، ص ص ٣٩ ـ ٤٢؛ وانـظر، أيضـاً، قـطب، **الـرأسـمالية**، ص ٦٦، وقـطب، **تفسير آية الربـا** (بيروت: دار الشروق، ١٩٧٠) ص ٨٤. في مـوضـوع الشـورى وتاريخها وتعريفها، انظر، عمارة، **الاسـلام وفلسفة الحكم**، ص ص ٥٧ ـ ٧٢. انـظر أيضـاً،

إلا أن إصرار قطب على أن ما يدعو إليه هو إيجاد الدولة الإسلامية القائمة على مبادىء الإسلام يقوده الى دعوة الحكومة الإسلامية حكومة الأمة لا الحكومة الديموقراطية للإسلام أو الحكومة الاشتراكية للإسلام. فما له قيمة عند قطب، هو النظرية الاساسية والمفهوم المحدِّد لطبيعة السلطة السياسية والتشريع. فالماركسية والليبرالية عند قطب هما مجموعتان من العقائد حول الميتافيزيقيا والسلطة السياسية والثروة، لهذا، فإن شجب قطب لليبرالية وللرأسمالية وللاشتراكية وللماركسية لا ينبع أساساً من رفضه لفكرة معينة في كل منها ولكن على أساس أن هذه المناهج لها مفاهيم أساسية ونقاط بداية مغايرة للإسلام. فهذه المبادىء المشتركة مع العقائد الأخرى يمكن شرحها أساساً من منطلق إسلامي؛ لذلك، ليس هناك حاجة الى استعارة المفاهيم أو المصطلحات الغربية في الإسلام[٣٧].

وعليه، يقسم قطب العالم الى حزبين: حزب الله وحزب الشيطان. أما حزب الله فهو الذي يؤمن بتوحيد الله ويعمل بتعاليم الله. وأما حزب الشيطان فهو ببساطة كل من لا يتبع تعاليم الله سواء أكان ذلك فرداً ما أم طائفة ما أم شعباً ما، وكنتيجة لهذا التقسيم يعرف قطب الأمة على أنها تلك المجموعة من الناس المتواصلين بالدين الذي هو جنسيتهم. وإلا فليس هناك أمة حقيقية لأنه لا الأرض ولا العرق ولا اللغة ولا المصلحة المادية كافية لإيجاد الأمة الخيِّرة[٣٨].

فالإسلام يوحد الناس على أساس الدين الذي هو أساس الوحدة والتفرقة، فليست اللغة أو الأرض أو الثقافة أو العرق وحدها هي الأساس الملائم لحياة إسلامية. فالدين هو جنسية المسلمين وأساس الاجتماع الإسلامي.

وهكذا، يجب على المسلمين عدم قبولهم لمفهوم القومية ولفصل الدين عن

= قطب، الرأسمالية، ص ٧٢، وقطب، تفسير آية الربا، ص ٨٤، وقطب، العدالة الاجتماعية في الاسلام، ص ص ٣٧ ـ ١٠٨.

(٣٧) قطب، الرأسمالية، ص ٥٣؛ وقطب، العدالة الاجتماعية، ص ٩٨.

(٣٨) قطب، هذا الدين، ص ٨٥.

الدولة لأن عبادة الله في الاسلام لا تتحقق الا في ظل نظام سياسي اسلامي[٣٩].

ويرى سيد قطب أن محاولات معظم القادة العرب والأتراك وغيرهم تهدف لجعل الاسلام كالمسيحية ذي شأن ثانوي في الأمور السياسية وتحويله الى علاقة خاصة بين الإنسان وربه. ولهذا السبب، يرى قطب أن المجتمعات الاسلامية اليوم ليست بمجتمعات اسلامية حقة لأن قانون الوطن ليس قائماً على الاسلام. فتلك المجتمعات سواء أكانت فيها الأغلبية أم الأقلية اسلامية ولا تطبق الشريعة الاسلامية فهي مجتمعات تعيش في الجاهلية. فالمجتمعات الجاهلية هي تلك المجتمعات حيث يتجمع الناس لأسباب غير الإرادة الانسانية، ويقصد قطب بهذا مجتمعات كالمجتمع المصري حيث تسيطر المجموعة العسكرية على الحكومة غير المنتخبة من قبل الشعب[٤٠] وهذا يشكل نقداً للظروف السياسية السائدة في ذلك الوقت في مصر والعالم الاسلامي. فقد دعا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى الاشتراكية والقومية ووقف ضد الحركات الاسلامية ولهذا وجد سيد قطب أن القومية في مصر والدول العربية الأخرى أعطت أولوية للأهداف القومية وجاء الاسلام في المركز الثانوي، هذا إن لم يرفضوه كلية كعامل أساسي في السياسة.

---

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٨٧؛ وقطب، **الرأسمالية**، ص ٥٨ وقطب، **معالم في الطريق**، ص ص ٥٩ و ٨٩. وقطب، **الاسلام ومشكلات الحضارة** (بيروت: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣) ص ص ٧ ـ ٩. للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، انظر، قطب **نحو مجتمع اسلامي**، ص ١٣.
ولتبرير موقفه من أن العلاقة بين الانسان والإنسان هي الإيمان والدين يقتبس قطب في كتابه **هذا الدين** الآيات التالية (ص ص ٨٤ ـ ٨٦). ﴿إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدونِ﴾ (الأنبياء ٩٢).
﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادّ الله ورسوله. ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» (المجادلة: ٢٢).

(٤٠) قطب، **الرأسمالية**، ص ١١٦. وانظر أيضاً، قطب، **فقه الدعوة**، ص ٩٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الرابع، الجزء الثالث عشر، ص ص ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٠، **ومعالم في الطريق**، ص ١٢.

ويهدف قطب الى إيجاد مجتمع اسلامي قائم على مبادىء الاسلام كالشريعة والعدالة الاجتماعية. لكنه يجب اتخاذ خطوات أساسية للتوصل الى ذلك المجتمع، أولها الثورة. فكلما كان التوحيد هو أساس الحكم الاسلامي والمجتمع الاسلامي، فهو أيضاً محور الثورة، وأساس الدعوة الإسلامية والتحرك السياسي. فمهمة الاسلام هي إزالة الظلم. ويتألف التوحيد عند قطب من ثلاثة مبادىء، **أولها**، تحرير الانسان من الخضوع للإنسان، **ثانيها**، الثورة ضد السلطات الطاغية، **وثالثها**، اعتبار الرضوخ للاستعباد شركاً في الله. فهي شرك لأن الله قد خلق الانسان حراً، وعليه فمن الخطأ الخضوع للرئيس أو للزعيم الطاغي. ويعني قولنا «لا إله إلا الله»، لسيد قطب، الثورة ضد السلطات الدنيوية التي تغتصب أولى خصائص الألوهية، كما أنها ثورة ضد الأوضاع القائمة على هذا الاغتصاب وضد تلك السلطات التي تحكم باسم قوانينها الخاصة لا باسم الله[41].

ويجب على الثورة عدم ترقيع المفاهيم القديمة مع المفاهيم الاسلامية. فعليها زلزلة وتهديم البناء القديم من أجل إنشاء البناء الجديد. فالتغير يتطلب الابداع، والابداع يتطلب تطوير الحياة لا ترقيعها[42] ولهذا يجب إزالة كل المجتمعات القائمة بطريقة أو باخرى لأنها فسدت. وبما أن الثورة هي الأداة الوحيدة للتوصل الى العدالة الاجتماعية وتطبيق الشريعة، فيجب أن تكون جهداً واعياً من أجل تحويل المجتمعات الموجودة المعاصرة ومن أجل الاطاحة بالحكومات غير الإسلامية. لهذا، فإن الهدف النهائي للثورة هو القضاء على كل تلك الأنظمة والحكومات القائمة على حكم الإنسان واستعباد الانسان للإنسان؛

---

(٤١) قطب، معالم في الطريق، ص ٢٦ و ١٠١، وقطب، الاسلام والرأسمالية، ص ٧٠ و العدالة الاجتماعية ص ٢٥٠. ويقتبس فيه (ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥٨) الآيات التالية للدلالة على صحة قوله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ (النساء: ١٤٤). ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ (النساء: ٧٤).
﴿إن الحكم الا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم﴾ (يوسف: ٤٠).

(٤٢) قطب، في التاريخ، ص ص ٢٣ ـ ٢٥.

فالثورة إذاً هي تحرر الانسان في اختياره للعقيدة التي تناسبه والإطاحة بحكم الانسان في كل أشكاله وأنظمته[٤٣].

ويعني هذا من الناحية العملية، أن تلك المجتمعات التي وجدت في زمن قطب كانت غير اسلامية؛ وهكذا، فهي بحاجة الى تغيير. كما أن المجتمعات التي تحارب المسلمين في دينهم وفي شريعتهم هي مجتمعات دار الحرب[٤٤].

وعليه، يرى قطب أن اسمى تنظيم هو التنظيم السياسي والذي يجب أن يكون قائماً على الاسلام مما يؤدي الى وجوب تدمير الأنظمة السياسية القائمة على الاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغيرها بما فيها تلك المجتمعات المتبعة للغرب. أما الهدف المباشر فهو إدانة الحكومة المصرية في ذلك الوقت والدعوة لثورة مضادة بدون التعايش مع القومية العربية.

لذلك، فإن المجتمعات التي هي بحاجة الى ثورة هي المجتمعات غير القائمة على المفهوم الاسلامي للألوهية وللحياة. وبهذا التعريف يشمل سيد قطب كل المجتمعات القائمة اليوم بما فيها المجتمعات الاسلامية لأنها، برأيه، أشركت بإبدال حكم البشر بحكم الله[٤٥].

---

(٤٣) قطب، **معالم في الطريق**، ص ص ٦٠٩ ـ ٧١. وانظر أيضاً **العدالة الاجتماعية** (ص ص ٦٧ ـ ٦٨) حيث يقتبس قطب العديد من الآيات، منها:
﴿وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النازعات: ٣٧ ـ ٤١).
﴿ونفس وما سواها، فالهمها فجورها وتقواها. قد افلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ (الشمس: ٧ ـ ١٠).
﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص: ٧٧).

(٤٤) قطب، **هذا الدين**، ص ص ٨٧ ـ ٨٨، وقطب، **معالم في الطريق**، ص ١٥٩، في **معالم في الطريق** يذكر قطب آيات منها (ص ص ١٤٩ ـ ١٥١):
﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ (المجادلة: ٢٢) ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ (النساء: ٧٦).
﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ (المائدة: ٥٠).

(٤٥) قطب، **معالم في الطريق**، ص ص ١٦٢ ـ ١٦٣. وانظر أيضاً، **نحو مجتمع إسلامي**، ص ٦٢.

ونستخلص من هذا أن أرقى تنظيم ممكن هو التنظيم السياسي والذي يجب أن يقوم على الاسلام. ويدل هذا، عند قطب، على وجوب تدمير الأنظمة السياسية القائمة على الاشتراكية والرأسمالية وغيرهما بما فيها تلك المجتمعات التي تتبع الغرب أو الفكر الانساني. أما الهدف المباشر لهذا العرض فهو ذو حدين: أولاً، إدانة الحكومة المصرية وعقيدتها، وثانياً، الدعوة لثورة مضادة. ولهذا السبب لا يحاول الاسلام التعايش مع القومية.

من هنا يمكننا القول أن قطب والأصوليين الآخرين يدعون الى سلوك سياسي غير تقليدي، فقد كان السلوك السياسي الاسلامي، وما زال الى اليوم الى حدٍ ما، قائماً على خضوع العامة من جهة وتسلط الحكومات من جهة أخرى. ويرتكز السلوك السياسي عند الأصوليين على مفهومين: الإجماع والثورة. أما الاجماع فقد كان ينظر اليه على انه مفهوم قضائي وعقائدي، إلا أن الأصوليين حولوه الى مبدأ سياسي. وقد جرت العادة على استعمال هذا المفهوم عادة لتفسير الوحي والسنة، وعند التوصل الى الإجماع (إجماع العلماء) في موضوع معين كان إجماعهم ملزماً للمسلمين. ففي مواضيع التوحيد والفقه وحقول أخرى من المعرفة، أصبح لإجماع جيل من الأجيال مرتبة تشريعية وتأسيسية. وكان المقصود بالإجماع إجماع العلماء لا كل الناس(٤٦). إلا أن تجريد الأصوليين لهذا المفهوم من عناصره الكلامية والفقهية حوّله، وخاصة عند قطب، الى مطلب أساسي وقاعدة ضرورية في السلوك السياسي. أولاً، لم يعد الإجماع مقصوراً على العلماء بل شمل كل الناس. وعليه، فكل المسلمين لهم نفس الحق في إنشائهم لمبادىء جديدة في السلوك السياسي. وللقيام بهذا حول قطب هذا المبدأ الى أداة سياسية عن طريق مطالبته بضرورة إجماع الأمة على

---

(٤٦) في موضوع الفهم التقليدي للقرآن والسنة، انظر: F. E. Peters, *Allah's Common-Weath* (N.Y.: Simon and Schusler, 1973) pp. 186-207. Levy, *The Social Structure of Islam,* pp. 150-191; and B.M. Sherif, ed. *A History of Muslim Philosophy* (Germany: Heimalverlog, 1966) p. 697. Bernard Lewis, «Politics and War,» in A Legacy of Islam (Oxford: Oxford University Press, 1974), p. 160, and J.J. Saunders, *A History of Medieval Islam* (London: Routledge and Keyon Paul, 1965), for instance, pp. 135-35.

اختيار السلطة الحاكمة. لذلك، تسقط شرعية السلطات الحاكمة إذا قامت بدون اختيار الشعوب لها. وبذلك خالف الأصوليون ما تقبّله العديد من علماء العصر الوسيط كالماوردي الذي تقبّل لشرعية الاستيلاء على السلطة بشرط تطبيق الشريعة. فالأمة ككل، وليس الحاكم فقط، مؤتمنة على السلطة والتشريع.

علاوة عن هذا لا يرى قطب ضرورة الإجماع في أمور علم الكلام بل للناس حق التمتع بقراءة القرآن وفهمه طبقاً لقدراتهم. ولهذا، يمكننا أن نرى أن المبدأ الوحيد الذي يطلب الأصوليون وقطب الالتزام به هو التوحيد بالإضافة الى مبدأ الحاكمية. لذلك يصبح إجماع المسلمين التجسيد التطبيقي للتوحيد والحاكمية. ويتمظهر التوحيد في وحدة المسلمين تحت راية القرآن الكريم، وتتمظهر الحاكمية في التزام السلطة السياسية بالشريعة. فهذان المبدءان، التوحيد والحاكمية، هما مبدءان لإحياء وبعث الفكر الاسلامي والمجتمع الاسلامي، وإلا كان الإحياء معتقداً لخصائصه الأساسية التي تميزه عن غيره من الحركات العلمانية وغير الإسلامية لأن الإحياء الاسلامي لا يهدف إلى ازالة الظلم فقط بل الى إيجاد المجتمع المسلم تحت راية القرآن الكريم[٤٧].

ومن أهم مظاهر التوحيد في السلوك السياسي هو كونه مادة وشعار الثورة. فالتوحيد هو مفهوم يؤدي الى الثورة في التفكير تتجسد في حركة شعبية. وتطمح الثورة الى ايجاد مجتمع قوي وأخلاقي وسعيد قائم على أساس التوحيد والوحدة. وهكذا فإن تلك السلطة التي لا تقوم ولا تنبع من التوحيد والوحدة هي في حالة إفلاس سياسي وأخلاقي. وهذا الإفلاس دليل على فساد الأنظمة. والحل هو في حركة شمولية مشابهة لتلك التي حققها النبي محمد ﷺ.

إن أساس الاسلام هو بمفهومه الكلي للحياة وللكون الذي يشكل الأرضية

(٤٧) في أسباب البحث الاسلامي المعاصر وبدايته، انظر:
Gibb, *Mohammadanism,* pp. 111-31 في مفهوم الدولة الحديثة، انظر:
Enayat, *Modern Islamic Political Thought* (Austin Texas University Press, 1973) pp. 69-110.

لكل أوجه الاسلام الاقتصادية والاجتماعية والسياسية علاوة عن الأوجه النفسية وغيرها. فأهمية المفهوم الاسلامي تكمن أولاً في حاجة المسلمين لتفسير شامل للوجود الذي من خصائصه تقريب طبيعة الحقائق العظيمة بما فيها الألوهية، الكون، الحياة، والانسان. وعليه، فإن النظام السياسي الذي يجب أن يحكم الحياة الانسانية يتوقف في حجته ومصداقيته على التفسير الشامل للمفهوم الاسلامي الكوني وقيمته[٤٨].

ويتألف المفهوم الاسلامي من سبعة خصائص مترابطة، وهي التوحيد، الألوهية، الثبات، الشمولية، التوازن، الإيجابية، والواقعية. والتوحيد هو الحقيقة الأساسية وأحد المقومات الأساسية للعقيدة الاسلامية. فالخضوع لله يعني، من ناحية إيجابية، أن هناك إلهاً واحداً. أما من ناحية سلبية فهي تعني وجود النفاق والخروج عن الطبيعة في حال الخضوع الى غير الله.

ومن هذه المقدمة، طبقاً لقطب، تنبع جميع القواعد الأخرى. فيجب على الانسان أن ينظم، مثلاً، حياته ومجتمعه طبقاً للإرادة الإلهية، حيث يجب على المسلم أن لا يعتقد إلا بحاكمية الله. وتتمتع هذه الفكرة بمركز أساسي في فكر سيد قطب السياسي، حيث تقوده الى الاعتقاد أن المفهوم الاسلامي يضمن الثبات في الشخصية كأشخاص وكجماعات، ويمنع عنها الخراب وانفصام الشخصية[٤٩].

يفهم قطب الدين على أنه منهج للحياة الذي يشمل مفهوماً ميتافيزيقياً ويصحبه نظام اجتماعي. لهذا، فهؤلاء الأشخاص الذين يستمدون مناهجهم من ملك أو أمير أو عشيرة أو من الشعب ليسوا أتباع دين الله ولكنهم اتباع دين الملك أو الأمير أو العشيرة أو الشعب[٥٠].

(٤٨) قطب، **خصائص التصور الاسلامي** (القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، لا تاريخ) ص ص ٣ - ٤.

(٤٩) قطب، **خصائص**، ص ص ٢٢٨ و٢١١ - ٢٢٢. يستعمل قطب العديد من الآيات، منها (٢١٤ - ٢١٥): ﴿لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (الأعراف: ٥٩).

(٥٠) سيد قطب، المستقبل لهذا الدين (القاهرة: مكتبة وهبي، الطبعة الثانية، ١٩٦٥)، ص ص ١٢ - ١٤؛ وانظر، قطب، **خصائص**، ص ص ٢١٢ - ٢١٥.

وفي الختـام، تتوقف رؤيـة المثقف الإسـلامي لمـوضـوع السلطة وممارسـتها الصحيحة على ارتباطها بالنموذج المثالي الفكري والعملي. أما مشروعية المشاريع السلطوية المقدمة بأسماء كثيرة، شعبيـة أو نخبويـة، والمزينـة بالتعـابير الـرنانـة، ديموقراطية او اشتراكية، فهي نتاج فقدان الأصالة الاسلامية ومرتكزات الاسلام الفلسفية والسياسية. فالاسلام كمنهج فكري وسياسي يتمتع بأصالة وبـوحدة لا يمكن المس بـإحداهمـا دون المس بجوهـر الدين. ففي هـذه الرؤيـة الأصوليـة، يتفـاعل الـدين مع السيـاسية والسيـاسة مـع الدين الى درجـة أن يصبح الـدين سيـاسية بحتـةً والسياسيـة دين بحت. كانت هـذه الرؤيـة هي السبب الحقيقي لمتاعب الأصوليين مع العديد من الحكومات والمجتمعات حتى تلك التي لا ترفع شعار فصل الدين والدولة.